بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه، ونستغفرُه، ونتوب إليه، ونعُوذ بالله من شُرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أن مُحمَّدًا عبدُه ورسُوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليما.

أمَّا بعد: **أيها الناس**، اتقوا الله تعالى، وقومُوا بما أوجبَ اللهُ عليكُم من رعاية أولادِكُم وأهلِيكم، ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾، فإنّكُم رُعاتهم والمسؤُولون عنهم، قال النبي ﷺ: «**الرَّجلُ راعٍ في أهلِهِ ومَسؤولٌ عن رعيتِهِ**» (متفق عليه).

أيها المسلمون، **يا رجال الإسلام**، اذكروا هذه الأمانة العظيمة، واشكروا الله على هذه النعمة التي حباكم بها، وقومُوا بها على الوجه الأكمل، اسمعُوا قول ربكم خالق الكون وعالم أسراره والمحيط بخفيِّه وظاهره ومُستقبله وماضيه وحاضره، اسمعُوه يقول: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [النساء:٣٤]، لم يجعلكم اللهُ قوَّامين عليهنَّ، إلاَّ لعلمِه بقُصُورهن عقلاً ودينًا، لقد أكَّد ذلك رسُول الله ﷺ حين قال في النساء: «**ما رأيتُ ناقِصاتِ عَقلٍ ودينٍ أذهبَ للُبِّ الرَّجلِ الحازمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**» (متفق عليه).

عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ**» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: «**أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ: فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ، وَتَمْكُثُ اللَّيَالِيَ مَا تُصَلِّي، وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ**»

فاعرفوا أيها الرجال هذا الفضل، وقوموا بهذه الأمانة، ولا تغلبَنَّكم النِّساء على رجُولتكم، ولا يُلهينَّكم الشيطان عن رعاية أهليكم، ولا تشتغلوا بأموالكم عن الحفاظ على ما هو أهمُّ وأولى.

أيها المسلمون إنَّ مُشكلة النِّساء ليست بالمُشكلة التي يُتهاوَن بها، وليست بالمُشكلة الجديدة، إنَّها مشكلةٌ عظيمةٌ يجب الاعتناء بها ودراسة ما يقضي على أسباب الشرِّ والفساد، إنها مشكلةُ الوقت كُلّه قديمًا وحديثًا، لقد كانت مُشكلةَ بني إسرائيل، وهي مشكلةُ هذه الأمَّة، قال النبي ﷺ «**ما تَركْتُ بعدي فتنةً أضَرَّ على الرِّجالِ مِن النِّساء**» (متفق عليه). وهذا الحديث الثابت في الصحيحين يتضمَّن التحذير من هذه الفتنة العظيمة والسعيَ في القضاء على أسباب الشر قبل أن يستفحل.

أيها المسلمون، إنَّ مُشكلة النِّساء عندنا هذا الزمن **في التبرج والاختلاط والتسكّع في الأسواق**، وكل ذلك ممَّا نهى عنه الله ورسُوله، فالتبرُّج أن تستشرف المرأة للرجال باللباس والزينة والقول والمِشية، ونحو ذلك ممَّا تُظهِرُ به نفسهَا للرجال، وتوجب لفتَ النظر إليها، ولقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ [الأحزاب:٣٣].

ولقد توسَّع النِّساء في التبرُّج باللباس، فصارت المرأة تلبسُ للسُّوق من أحسَن اللباس، وتضع عليه عباءةً رُبَّما تكُون قصيرة لا تسترها، أو رهيفة، أو ترفعها المرأة عن أسفل جسمها، حتى يتبيَّن جمال ثيابها وزينتها، وربما شدَّت العَباءة بيدَيها من فوق عجيزتها، حتَّى يتبيَّن حجمها، وكُلُّ هذا مِمَّا نهى الله عنهُ، لقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ﴾ [النور:٣١]. نهى الله النِّساء أن يضربنَ بأرجُلهن، فيُعلَم الخلخال الذي تُخفيه، فإذا كان الله نهى عن الضرب بالرِّجل خوفًا من سماع الخلخال المستُور، فكيف بمن تلبس جميل الثياب، ثُمَّ ترفع العباءة عنه ليراهُ النَّاس بأعينهم، فيفتِنهم، وإنَّ الفتنة بما يُرى أعظم من الفتنة بما يُسمع، فليس الخبر كالمعاينة. إذا كان الله نهى عن الضرب بالرِّجل؛ خوفًا من سماع الخلخال، فكيف بمن تكشف عن ذراعيها لتُظهِر ما عليهما من الحلي والزينة ونعمومة اليد؟ كأنَّما تقُول للناس: انظروا إلى نعومة يدي، وإلى ما عليها من الحلي والزينة.

وإنَّ من التبرُّج أن تخرُج المرأة مُتعطِّرةً متطيِّبة، فإنَّ هذا خلاف أمر النبي ﷺ، فإنَّ النبي ﷺ، قال: «**وليخرُجْنَ تَفِلاتٍ**» (صحيح أبي داود)، أي: غير متطيِّبات، وقال ﷺ: «**إذا خرجتْ إحْداكنَّ إلى المسجدِ فلا تَمَسّ طِيبًا**» (صحيح مسلم)، وقال ﷺ: «**إنَّ المرأة إذا استعطرتْ فمرَّتْ بالمجلسِ، فهي كذا وكذا، يعني: زانيةً**» (صحيح الترمذي). ولقد كثرت الزينة والتطيب، في أيام الأعراس تخرج النِّساء من بيُوتهنَّ في أحسن ثيابهن مِمَّا يُثير ويهيج الشر.

وأمَّا اختلاطُ النِّساء بالرِّجال، ومُزاحمتِهِنَّ لهُم، فهذا موجُودٌ في كثير من محلاَّت البيع والشراء، وهو خلافُ الشَّرع، فلقد خرج النبي ﷺ من المسجد، وقد اختلط النساء مع الرجال في الطريق، فقال ﷺ للنَّساء: «**استأخِرنَ فإنَّهُ ليسَ لَكُنَّ أن تحققنَ الطَّريقَ، عليْكنَّ بحافَّاتِ الطَّريقِ**»، فكانت المرأة تلصق بالجدار حتَّى إنَّ ثوبها ليعلق به (صحيح أبي داود)، ولقد رغَّب النبي ﷺ أمَّته الابتعاد عن اختلاط النساء بالرجال حتَّى في أماكن العبادة، فقال ﷺ «**خيرُ صُفوف النِّساء**» يعني اللات يُصلِّين مع الرجال «**خيرُ صُفوف النِّساءِ آخرُها، وشرُّها أوَّلُها**» (صحيح مسلم)، وإنَّما كان آخر صفوفهن خيرًا لبعده عن الرجال ومُخالطتهم ورؤيتهم لهن، ألم يكن في هذا أوضح دليل على محبة الشرع لبعد المرأة عن الرجال واختلاطها بهم؟

وأمَّا التسكُّع في الأسواق، والتمشِّي فيها، فما أكثر من يفعله من النِّساء، تخرجُ المرأة من بيتها لغير حاجة، أو لحاجة يسيرة يمكن أن يأتي بها أحدٌ ممن في البيت من الرجال أو الصبيان. ولقد قال رسول الله ﷺ: «**لا تمنعوا إماءَ اللهِ مساجدَ اللهِ، وبيوتهنَّ خيرٌ لهنَّ**» (متفق عليه دون قوله: «وبيوتهن خير لهن»).

فبيت المرأة خيرٌ لها حتَّى في المسجد، فكيف بغيره، وإنَّ هذا الحديث الصَّحيح ليدل على أنَّه يجوز للرجل أن يمنع المرأة من الخروج للسوق ما عدا المسجد، ولا إثم عليه في ذلك، ولا حرج. أما منعها من التبرج والتعطر عند الخروج، فإنَّه واجب عليه ومسؤول عنه يوم القيامة.

وعلى المرأة إذا خرجت أن تخرج بسكينة وخفض صوت، ولا تمشي كما يمشي الرجل بقوة تضرب الأرض برجلها، وتهز كتفيها، وترفع صوتها، قالت أم سلمة رضي الله عنها: لما نزلت هذه الآية: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٩]، خرج نساءُ الأنصار كأنَّ على رؤسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها (صحيح أبي داود).

هذه صفات نساء المُؤمنين، فاقتدوا بهن لعلكم تفلحُون، ولا تغرنَّكم الحياة الدنيا وزينتها، ولا يغرنكم من لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، فإنَّ هذا التبرُّج والثياب القصيرة والضيِّقة، إنَّما صُنِعَت تقليدًا لهم، وإنَّ أعداءَكم يعلمُون أنَّهم لو دعَوكم إلى الكفر ما كفرتُم، ولو دعوكُم إلى الشِّرك ما أشرَكتم، ولكن يرضَوْن منكم أن يهدِمُوا أخلاقكُم ودينكم من جهاتٍ أخرى، من جهة مُحقِّرات الذُّنوب التي يُحقِّرونَها في أعيُنكُم، فتحتقرونها، وتؤاتونها حتى تنزل بكم إلى النار. قال النبي ﷺ: «**إنَّ الشَّيطانَ قد يَئِسَ أن تُعْبَدَ الأصنامُ في أرضِ العَربِ، ولكنَّهُ سَيَرضى منكُم بدونِ ذلكَ بالمحقَّراتِ، وهيَ الموبِقاتُ يومَ القيامةِ**» (صحيح الترغيب).

فاتقوا الله أيها المسلمون، ولا تنخدعوا بما يُقدِّمُه لكم أعداؤكم، إنَّكم الآن على مُفترق طُرق، فُتحت عليه الدنيا، وانهال عليكم الأعداء، قدم البعض منهم إلى بلادكم بعاداتهم السيئة وتقاليدهم المُنحرفة، وسافر البعض منكم إلى بلادهم، وشاهدتمُوهم في وسائل الإعلام وفي الصحف والتليفزيون.

فإمَّا أن يكُون في دينكم صَلابة تتحطَّم عليها مكايد الأعداء، وفيكم قوة الشخصية الإسلامية، فلا تقتدون بهم، ولا تغترون بهم، وتتمسكون بما كان عليه أسلافكم الصَّالحون، فتنالون خير الدنيا والآخرة.

وإمَّا أن يكُون الأمر بالعكس لينٌ في الدين، وضعفٌ في الشخصية، وانهيارٌ أمام المُثيرات، فتبوؤُون بالصفقة الخاسرة: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزُّمَر:١٥].

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

المصدر: الضياء اللامع من الخطب الجوامع، للعلاّمة ابن عثيمين رحمه الله تعالى (الخطبة الثامنة في التحذير من توسع النساء في التبرج)

التحذير من
التبرج والسفور

لفضيلة الشيخ
محمد بن صالح العثيمين رحمه الله

دار العلم الصحيح